

# إعادة المحاكمة

القصة الخفية لقضية دوغر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة



# إعادة المحاكمة

القصة الخفية لقضية دوثر

تأليف:

جون پول - د. مايكل بيهي

ترجمة:

سارة بن عمر

## إعادة المحاكمة القصة الخفية لقضية دوشر

تأليف: چون پول – د. مايكل بيهي

ترجمة: سارة بن عمر

مراجعة لغوية: دعاء توفيق

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٧

رقم الإيداع: ٣٤٢٤ / ٢٠١٦

التقييم الدولي: ٩-١٩-٦٥٤٥-٩٧٧-٩٧٨

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر (مركز براهين)، وإنما بالأحرى عن وجهة نظر المؤلف.

مركز براهين للأبحاث والدراسات

أرقام المبيعات: ٩٤٠٠٠٦٤٨٠٠٠٠٠٢ - ٦٠٠١٥٥٧٧٤٦٠ (٠٠٢)

بريد المبيعات: sales@braheen.com



braheen.bookstore



braheen\_books: المبيعات صفحات

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والنسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2016 for **Braheen Center**  
Published by Special arrangement with **Discovery Institute Press**,  
Responsibility for the accuracy of the translation rests solely with  
**Braheen Center** and is not the responsibility of **Discovery  
Institute Press**. No part of this book may be reproduced in any  
form without the written permission of the original copyright  
holder.

**Braheen Center for Research and Studies, Ltd.**

## عن السلسلة

أكثر من عشرة سنوات مرت على الحكم على نظرية "التصميم الذكي" بأنها ليست نظرية علمية، من خلال قاضي محكمة المنطقة الوسطى في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك ما زال البعض يردد هذه الحكاية -الساقطة بكل المقاييس-، كدليل على استبعاد التصميم الذكي من دائرة العلم.

في هذه السلسلة المتجددة، نطرح عبر حلقات منفصلة، إعادة للمحاكمة العجيبة التي حلوا لمؤيدي التطور من الملحدين والمؤمنين طرحها أولاً على الطاولة، قبل حتى أن يبدأ النقاش. فإن كان الأمر لديهم أن "القضية انتهت"، نطرح هذه السلسلة لنؤكد من خلالها أن القضية لا تنتهي أبداً بهذه السهولة.

مركز براهين



«مركز براهين» لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية هو مركز بحثي مستقل، يعمل كمؤسسة غير ربحية مرخصة في لندن بالمملكة المتحدة، ويعنى فقط بالعمل في المجال البحثي الأكاديمي لتوفير إصدارات متعددة (كتابية - مرئية - سمعية) على درجة عالية من الدقة والموضوعية والتوثيق يسعى من خلالها لتحقيق رسالته.

• رؤية المركز: عالم بلا إلحاد.

• رسالة المركز: المساهمة النوعية في تفكيك الخطاب الإلحادي ونقد مضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وبناء التصورات الصحيحة عن الدين والإنسان والحياة ومعالجة النوازل العقدية انطلاقاً من أصول الشريعة ومحكمات النصوص كل ذلك بلغة علمية رصينة وأسلوب تربوي هادف.

# BRAHEEN CENTER

*for Studying Atheism*  
and Contemporary Issues of Faith

27 Old Gloucester Street, London,  
United Kingdom, WC1N 3AX

• سياسة المركز: يعمل المركز بشكل أساسي على نقد أصول ومظاهر الإلحاد الحديث نقداً منهجياً، مع مراعاة البعد النفسي للمتلقين بمختلف فئاتهم، والحرص على تركيز النقد على الأطروحات الأساسية للخطاب الإلحادي الحديث. كما تنتهج مخرجات المركز أساليب الإفحام، والنقض، والدفاع وكذلك أساليب البناء والإقناع والهجوم وتقديم البدائل قدر الإمكان. وتنحصر مخرجات المركز بشكل رئيسي في ثلاثة مجالات عريضة: علمية، فلسفية، شرعية.

الموقع الرسمي: [www.braheen.com](http://www.braheen.com)

للتواصل والاستفسارات العامة: [info@braheen.com](mailto:info@braheen.com)

للتواصل مع المدير التنفيذي: [ammar@braheen.com](mailto:ammar@braheen.com)

تويتر: [t.braheen.com](https://t.braheen.com)

فيسبوك: [fb.braheen.com](https://fb.braheen.com)

انستجرام: [i.braheen.com](https://i.braheen.com)

يوتيوب: [y.braheen.com](https://y.braheen.com)

## لماذا هذا الكتاب؟!

أكثر من عشرة سنوات مرت على الحكم على نظرية "التصميم الذكي" بأنها ليست نظرية علمية، من خلال قاضي محكمة المنطقة الوسطى في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومع ذلك ما زال البعض يردد هذه الحكاية -الساقطة بكل المقاييس-، كدليل على استبعاد التصميم الذكي من دائرة العلم.

"خلال تلك الشهور العصيبة التالية لقضية دوغر، اتخذت أكبر قرار في حياتي المهنية. فبدلاً من التوقف والهروب، قررت المخاطرة بكل شيء. قناعتي بالأهمية القصوى للتصميم الذكي، جعلتني أترك مناصبي الدائم كأستاذ جامعي، لتكريس كافة طاقاتي لمركز الثقافة والعلوم بديسكفري. حينما اكتشف أحد الزملاء الملاحدة، تركي لمنصبي في الجامعة، بدأ في المضايقة والشماتة، وأخبرني وقتها -وهو سعيد- أنه بعد الحكم في دوغر لن أجد لي وظيفة، وأن كل من التصميم الذكي ومعهد ديسكفري سيتدمران".

كتب د. جون ويست (نائب رئيس معهد ديسكفري حالياً، وأستاذ العلوم السياسية بجامعة سياتل سابقاً) هذه السطور في مقال

له بمناسبة مرور عشرة سنوات على الحكم في دوفر. محتفلا بفشل نبوءة البروفيسور الملحد، وفشل القاضي والمدعين ومن ورائهم في محاولة إخماد نظرية علمية باستعمال السلطة القضائية والنفوذ السياسية والإعلامية.

بدأت القصة بمحاولة إدارة مدرسة منطقة دوفر بولاية بنسلفانيا في إعلام طلاب فصل البيولوجيا من خلال بيان يلقي على الطلاب في الفصل لمدة دقيقة، وفحواه أن نظرية التطور الدارويني ليست هي الوحيدة التي تتناول قضية نشأة الحياة وتنوعها، وأن هناك نظرية علمية أخرى تدعى "التصميم الذكي"، وأن من يريد التعرف على المزيد حول الأمر عليه مطالعة كتاب (الباندا والناس) في مكتبة المدرسة.

الجدير بالذكر أن تصرف إدارة المدرسة كان تصرفا منفردا، لم يدعمهم فيه لا معهد ديسكفري ولا مؤسسة الفكر والأخلاق -ناشر كتاب الباندا-، بل إن إدارة معهد ديسكفري طلبت منهم كثيرا تجنيبهم ذلك الصراع المبكر. فمن وجهة نظرهم، لم يكن الوقت بعد لتدريس التصميم الذكي للطلاب في المدارس، فالأمر ينبغي أن يظل في المناظرات العلنية بين المتخصصين، وفي المحاضرات التعريفية العامة، ولا ينتقل إلى المدارس إلى بعد أن تتكون الحاضنة الاجتماعية للنظرية

العلمية لدى الجموع. فالأمر ليس يسيراً في الولايات المتحدة حين يتعلق بـ"علمانية الدولة".

تصرف إدارة المدرسة، أعطى الفرصة الذهبية للوبي الدارويني للزج بالنظرية نفسها إلى المحاكم، فقضيتهم الرئيسية ليست في تصرف إدارة المدرسة الحكومية المخالف للدستور الأمريكي، ولكن قضيتهم الرئيسية هي محاولة قتل نظرية التصميم الذكي بأي وسيلة.

لا يسلم القضاء في أي بلد من البلدان من التحيز، ولكن أن يصل هذا التحيز إلى أن يقبل القاضي مناقشة "النظريات العلمية" داخل أروقة المحكم، ويعطي لنفسه الحق في تحديد ما ينطبق عليه صفة العلم، ثم يلزم ناشر الكتاب بتسليم كافة المسودات السابقة والتالية لنشر الكتاب، ثم بعد ذلك يرفض أن يوكل الناشر محامياً للدفاع عنه، ثم يتجاهل قراءة الملفات التي يوردها المدعى عليه، ثم يزيّف أقوال شهود المدعى عليهم، ثم ينقل صفحات كاملة في مصوغات حكمه من نص الادعاء الذي يقدمه المدعي لإثبات التهمة على المدعى عليه! فنحن نتحدث إذا عن أكبر من مجرد دعوى قضائية.

لذلك كانت هذه السلسلة؛ سلسلة (إعادة المحاكمة)، التي نطرح فيها عبر حلقات منفصلة، إعادة للمحاكمة العجيبة التي يحلو

لمؤيدي التطور من الملحددين والمؤمنين طرحها أولاً على الطاولة، قبل حتى أن يبدأ النقاش. فإن كان الأمر لديهم أن "القضية انتهت"، نطرح هذه السلسلة لنؤكد من خلالها أن القضية لا تنتهي أبداً بهذه السهولة، أو كما يعلق د. بيهي في نهاية مقاله هنا "في ٢١ ديسمبر ٢٠٠٥، وكما كان الأمر يسري سابقاً، لا يوجد أي تفسير للآلية الجزئية في الحياة بخلاف التصميم إلا التكهنات الحاملة والقصص المختلقة".

في هذا الإصدار، نبدأ بمقال جون پول، ناشر كتاب (الباندا)، والذي يروي قصة قضية دوغر من جانبه، ثم نتقل لتعليقات د. مايكل بيهي، أستاذ العلوم البيولوجية بجامعة ليهاي بولاية بنسلفانيا والذي حضر المحاكمة في صف المدعى عليه بصفته خبير. وأخيراً ثلاثة ملاحق؛ الأول هو خاتمة كتاب تصميم الحياة -النسخة الأحدث من كتاب الباندا والناس-، وي طرح فيها المؤلفين صورة إجمالية للتدخلات الإعلامية والقضائية والسياسية في القضايا العلمية، والثاني مختصر لمذكرة أصدقاء المحكمة الداعمين للمدعى عليه في القضية، والثالث للتبويه ببعض المنشورات الداعمة للتصميم الذكي المراجعة من قبل الأقران.

مركز براهين

# القصة الخفية لقضية دوشر

جون پول

مدير مؤسسة الفكر والأخلاق، ٢٠١٣

## مقدمة

في العشرين من ديسمبر لعام ٢٠٠٥، أصدر القاضي جون إدوارد جونز John E. Jones حكمه الذي حظى باهتمام إعلامي كبير في قضية (كيتسميلر ضد دوثر *Kitzmiller v. Dover*)<sup>(١)</sup>، وفي صلب حكمه هذا، سرد رواية معيبة حول الكتاب المدرسي للتصميم الذكي (الباندا والناس *Of Pandas and People*) من تأليف كانيون وديفيس ١٩٩٣. <sup>(٢)</sup> هذا التقرير ليس لمناقشة استفزازات أو تصرفات مجلس إدارة مدرسة منطقة دوثر وحكم القاضي بخصوصهم، ولكن عوضاً عن ذلك؛ سنركز على الرواية التي بناها القاضي جونز، وهي رواية تتمسك بأن التصميم الذكي ما هو إلا خلقية *creationism* متنكرة، وبالتالي فهو ديني بالطبع؛ وبناء على ذلك، فإن استعماله في المدارس العامة يُعد انتهاكاً للتعديل الأول.\*

---

\* التعديل الأول من الدستور الأمريكي، والذي ينص على أن الكونجرس لا يعتمد القوانين بناء على أية أسس دينية.

رأي القاضي جونز مقتبس إلى حد كبير من الدعوى التي قدمها الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية ACLU والتي تزعم أن كتاب الباندا\* كُتب في الأصل كنص يتبنى علم الخلق، لكن لاحقاً قام الناشر (مؤسسة الفكر والأخلاق) # والمحررين باستبدال مصطلح علم الخلق بمصطلح التصميم الذكي، ذلك بعد أن قامت المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية بالحكم النهائي على الأول بأنه دين في قضية (إدواردز ضد آجيلارد **Edwards v. Aguillard**) عام ١٩٨٧. (٣) لقد جُمعت منذ المحاكمة أدلة وفيرة تثبت أن هذا الادعاء؛ ليس فقط غير دقيق، ولكن أيضاً يناقض الأدلة التاريخية تماماً، وهذا ما سيتم طرحه هنا بكامل التفاصيل.

بعد قرار المحكمة في قضية دوغر، والضجة الإعلامية التي أثارها في أعقابه، توقعنا في المؤسسة تلاشي المشكلة، وركزنا جهودنا على متطلبات نشر وتسويق الطبعة الأحدث من الباندا لعام ٢٠٠٨، (تصميم الحياة: اكتشاف علامات الذكاء في الأنظمة البيولوجية) لديمبسكي وويلز. (٤) لم تزد المؤسسة في تصريحها الأولي حول القضية

---

\* اختصاراً؛ سيتم الإشارة إلى كتاب الباندا والناس في بقية المقال بالباندا فقط.

# اختصاراً؛ سيتم الإشارة إلى مؤسسة الفكر والأخلاق، بالمؤسسة فقط.

على ذكر أن الموقف الدفاعي ليس جذابا بالمرّة، ولا يأتي غالبا إلا بنتائج عكسية. ولكن؛ عوضًا عن أن تضعف قوة الضجة، أثبتت الرواية التي انتشرت إعلاميا عن قضية **دوثر** وعن خلفية كتاب **الباندا** أنها وسيلة قوية لكبت حرية التعبير والبحث، ولترهيب المتعاطفين مع التصميم الذكي على الصعيد الوطني. ورغم اختفائها منذ مدة طويلة عن العناوين الرئيسية، ما زال يتم عرضها على الجمهور؛ والمثال السافر على ذلك هو إنتاجه في مادة وثائقية لـ **(نوفّا NOVA)** \* بعنوان **(يوم الحكم: التصميم الذكي في المحاكمة)** والذي وقع عرضه لأول مرة على قناة **بي.بي.أس PBS** في ١٣ نوفمبر ٢٠٠٧، وأعيد عرضه عدة مرات أخرى بعد ذلك.

ومؤخرا في عام ٢٠١٣، نُشر مقال لكيسي لسكين من معهد ديسكفري في موقع المعهد على الإنترنت، بعنوان **(ما الذي يُدرس لطلاب القانون عن التصميم الذكي؟)**<sup>(٥)</sup>، توثق هذه القطعة الزحف المستمر لخطاب المعجبين بما تبثه حلقات **نوفّا**، وتروي ما الذي يتم تدريسه لطلاب القانون -المقرر عليهم كتاب **(القانون الأمريكي**

---

\* **نوفّا**: سلسلة تلفزيونية شهيرة مختصة بنشر العلوم المبسطة **popular science**، تبث على قناة **PBS** وعدة قنوات أمريكية وعالمية أخرى.

للمدارس العامة (American Public School Law) لأليكنزدر وأليكنزدر- حول التصميم الذكي، والكتاب -وكما فعل القاضي چونز من قبل- يكرر رواية أن التصميم الذكي هو خلقوية متنكرة.

يدرك هؤلاء المؤلفون-تماما كالقاضي چونز- أن قرار المحكمة العليا لعام ١٩٨٧، قام بتعريف الخلقوية على أنها "تجسيد للاعتقاد الديني الذي يرى أن خالق خارقا للطبيعة كان المسؤول عن خلق البشرية"<sup>(٦)</sup>، ويفترضون كذلك -كالقاضي چونز- أن كتاب الباندا يؤيد هذا المعتقد الديني، وهو ما لم يحدث قط، لا في أي مسودة سبقت النشر، ولا فيما نشر في الطبعة الأولى والثانية.

الكثير من معارضي التصميم الذكي مثل ألكنزدر وألكنزدر يفضلون السبق بالإشارة إلى حكم القاضي چونز لقطع أي مجال للنقاش. فالأمر بالنسبة لهم، أن مجرد الإشارة إلى الحكم؛ يعفيهم من الحاجة إلى أي إعادة تفكير في الحجج التي يقدمها التصميم الذكي، فضلا عن التفاعل معها، أو محاولة دحضها حتى إن كان الأمر يستحق.<sup>(٧)</sup> وبالتالي، كان من الضروري أن يتم الإعلان عن القصة المباشرة لتاريخ كتاب الباندا.

الادعاء المركزي في القضية، يعبر عنه القاضي جونز بكلماته هنا:  
"إن المرّجح لأن يكون الدليل الأقوى في دعم اكتشاف طبيعة  
التصميم الذكي الخلقوية؛ هو التسلسل التاريخي للكتاب الذي يُحال  
إليه فصل البيولوجي من طلبة الصف التاسع في دوثر".<sup>(٨)</sup>

وفصّل القاضي جونز الحديث، قائلاً:

"يبين هذا الدليل بوضوح أن التغير المنهجي من الخلق إلى  
التصميم الذكي تم في وقت ما من عام ١٩٨٧، بعد قرار  
المحكمة العليا الهام في قضية إدواردز. هذا الدليل القاطع  
يدعم بقوة تأكيد المدعين على أن التصميم الذكي ليس إلا  
إعادة صياغة للخلقوية".<sup>(٩)</sup>

ثم لخصّ القاضي جونز الأمر قائلاً:

"بعد مقارنة مسودات كتاب الباندا السابقة واللاحقة لحكم  
المحكمة العليا، يتضح لدينا ثلاث نقاط مذهلة:  
(١) يتطابق تعريف علم الخلق في المسودات الأولية مع تعريف  
التصميم الذكي.

(٢) الكلمات القريبة من لفظ الخلق (مثل الخلقوي والخلقوية)،  
التي ظهرت في مائة وخمسين موضعاً تقريباً، تم استبدالها عمداً

وبشكل ممنهج بالتصميم الذكي.

(٣) حدثت التغييرات بعد فترة وجيزة من صدور حكم

المحكمة العليا في قضية إدواردز بأن علم الخلق ديني ولا

يمكن تدريسه في المدارس العامة في فصل العلوم".<sup>(١٠)</sup>

وعلى الرغم من أن كميات معتبرة من الكتب فقدت قيمتها

السوقية بالفعل\*، فإنه لم يفت الأوان أبدا على موعد تصحيح الصورة.

الأدلة التي تم تجميعها في صورة سجلات أصلية، وثائق، ونقاط

موثقة من المراجع من سجلات عامة وخاصة، تخبرنا بقصة مختلفة تماما.

هذه الأدلة الموثقة تناقض، بل تدحض تماما أساس قضية دوفر. فهي

تُبين أن المؤسسة منذ البداية كانت تسعى لتحديد ما إذا كان الذكاء

قد لعب دورا في نشوء الأنواع الحية. لقد اعتمدت المؤسسة في خلال

اختبارها للأفكار وبحثها عن المصطلحات الفنية الأكثر دقة وملاءمة

لتوصيف دور الذكاء في البيولوجيا، العديد من المصطلحات التي لا

تخالف أي واحدة منها الأعراف العلمية.

---

\* تسبب التشويه الذي حدث بسبب تعمد القاضي الإصرار على وصم التصميم الذكي

بالخلقوية وإخراجه من دائرة العلم، في خسارة مادية فادحة للناشر في الطبعة الجديدة من كتاب

الباندا المعنونة بـ(تصميم الحياة). والتعصب كان واضحا جدا، حيث أصر القاضي جونز على

أن يحضر الناشر مسودات الكتاب، ومع ذلك رفض أن يوكل الناشر أي محام!

## تحضيرات المؤسسة

في وقت متأخر من عام ١٩٨١ بدأت المؤسسة بحثاً قويا في الأسس العلمية لأثر الذكاء في الطبيعة، بقيادة الكيميائي تشارلز ثاكستون **Charles Thaxton**. حينما انتقل ثاكستون من ولاية بوسطن إلينا في ولاية دالاس، انتقل كعالم مرموق<sup>(١١)</sup>، ليتولى مسؤولية إدارة البحث في إعداد مناهج المؤسسة الدراسية. بالإضافة لذلك، كان الشخص المناسب لقيادة فترة المناقشات والأبحاث التي أوشكت حينها أن تبدأ.<sup>(١٢)</sup> وكان أيضا المؤلف الرئيس والمصمم لأول كتاب للمؤسسة، الذي جاء بعنوان (لغز نشأة الحياة: إعادة تقييم للنظريات الحالية **Mystery of Life's Origin: Reassessing Current Theories**)<sup>(١٣)</sup>، وشاركه في تأليف الكتاب كل من روجر أولسن (كبير الباحثين الكيميائيين لروكويل\* الدولية)، وعالم المواد والتر برادلي، (رئيس قسم الهندسة الميكانيكية في جامعة تكساس إي أند إم). وقد اختص الفيزيائي العظيم وفيلسوف العلم مارتن إيجر **Martin Eger**<sup>(١٤)</sup> هؤلاء المؤلفين بالمدح والثناء.

---

\* روكويل الدولية **Rockwell International** هي تكتل صناعي، كان من أكبر الشركات الأمريكية السابقة، في النصف الأخير من القرن العشرين. عملت في مجال صناعة الطائرات والفضاء، سواء كان موجهها للأغراض العسكرية أو التجارية.

اللغز، هذا اللفظ الذي استتبع عملية مراجعة موسعة قبل نشره، نال استحسان واسع، وكان الأول من بين عدة محركات لنقاشات فكرية عنيفة بدأت في وقت مبكر من العقد (مستند ١: الشفاء على كتاب لغز نشأة الحياة). على سبيل المثال، في صيف عام ١٩٨٥، خلال العام الأول الذي تلى النشر، عُرض الكتاب بشكل بارز في مكتبة (جامعة ساووزرن ميثوديست SMU) كأفضل كتاب علمي للشهر.

## بدء التأسيس للباندا

عند التأمل فيما يتطلبه مشروع الباندا، نجد أنه في انتظارنا مهمتين أساسيتين قبل البدء. إن فهم ثاكتون لفلسفة العلم كان نقطة الانطلاق للمهمة الأولى؛ متفاعلا مع كل الأسئلة المهمة لنظرية المعرفة (كيف نعرف ما نعرفه). والثانية كانت -وفي وقت مبكر جدا- الحاجة إلى استكتاب واحد أو أكثر من علماء الأحياء المختصين للمشروع. ولقد اعتبرنا أنفسنا من المحظوظين بالفعل، لضم؛ ليس واحدا فقط، بل مؤلّفين اثنين، سبق لهما نشر أعمال رائدة في البيولوجيا. وقد كان لهما نصيب من التخطيط لنظام الكتاب الذي وافقا على كتابته.

هاتان المهمتان: النص البيولوجي، والقضية المعرفية؛ جرت متابعتهما في مسارات متباعدة جدا. كان النقاش الفكري لثاكتون

حول هذا الأخير على قدم وساق بحلول عام ١٩٨١، أي قبل ست سنوات من صدور الحكم في قضية إدواردز. ومنذ البداية وهو يلتمس الانتقادات ويشجع على النقاشات الصارمة. في غضون أربع سنوات، عقدت في دالاس ندوتان جديرتان بالاهتمام، الأولى أقيمت عام ١٩٨٣، وكانت بعنوان (الفكر الحديث والعودة إلى الإيمان بالإله). خلالها، شجر ثاكستون مكان شاندر وكراماسينجي **Chandra Wickramasinghe** الخالي بسبب مرضه، وقدم ورقة بعنوان (المسيحية والمؤسسة العلمية). ولعب دورًا أكبر في الندوة الثانية بفندق دالاس هيلتون في وسط المدينة في عام ١٩٨٥، والتي كانت بعنوان (المسيحية تتحدى الجامعة: المؤتمر الدولي للمؤمنين والملحدين).<sup>(١٥)</sup> هذه الندوة جمعت علماء وفلاسفة لامعين، مثل؛ آلان سانداج **Allan Sandage**، دين كينيون **Dean Kenyon**، هيرت يوكاي **Hubert Yockey**، كليفورد ماثيوس **Clifford Matthews**. ومثل؛ أنتوني فلو **Antony Flew**، پول كيرتس **Paul Kurtz**، كاي نيلسين **Kai Nielsen**، وراسل دوليتل **Russell Doolittle**، بالإضافة لبعض الحضور الآخرين، دعاة الإلحاد العلني خلال الندوة.

ثاكستون الذي طُلب منه تنظيم وترأس طاولة نشأة الحياة في الندوة، قام بجمع باحثين معروفين في نشأة الحياة من بينهم الكاتبتين المشاركين في تأليف كتاب اللغز.

بسبب تقديم المشاركون في ندوة ١٩٨٥ التي عُقدت في دالاس، وجهات نظر فلسفية تنافسية، تنوعت انطباعات المتلقين لكتاب اللغز، ومع ذلك، كان من المفاجئ أن تبقى إيجابية بالرغم من وجود اختلافات جوهرية في وجهات النظر. بل وأيضا تكونت علاقات قوية هناك، استمرت بعد ذلك، فمثلا أصبح كل من روي فارجيس والفيلسوف البريطاني أنتوني فلو صديقين في تلك الندوة (والذي كان ملحدًا حينها، وتوفي في أبريل عام ٢٠١٠). \* كذلك صار كل من جاري هابرماس # وفلو صديقين وكذا خصمين؛ يتناظرا من حين لآخر.

الأهم من ذلك أنه تصادف وجود ستيفن ماير Stephen Meyer —الذي أصبح لاحقا مؤسس ومدير مركز الثقافة والعلوم

---

\* لاحقا في ٢٠٠٦، بعدما انتقل فلو من الإلحاد للإيمان بوجود إله، شاركه فارجيس في تأليف كتاب (هناك إله)، والذي روى فيه فلو سيرته الذاتية وسبب هذا التحول الفكري.  
# جاري هابرماس Gary Habermas أستاذ علوم الدفاع اللاهوتي والفلسفة ورئيس قسم الفلسفة واللاهوت في جامعة ليبرتي سابقا.

بمعهد ديسكفري- في ذلك المكان، والذي تعرف فيه لأول مرة على المناظرة حول نشأة الحياة، المناظرة التي في بضع أيام أطلقت العنان لإبداعه، ثم ما لبث أن وظف قدراته الذهنية الاستثنائية في دراسات عليا في جامعة كيمبردج في فلسفة العلوم<sup>(١٦)</sup>، ثم أتبع ذلك بإنشاء البيت المؤسسي لحركة التصميم الذكي في معهد ديسكفري بسياتل.

### نظرية المعرفة والعلم التاريخي:

هل يمكن للقياس مساعدتنا في معرفة ما حدث وما لم يحدث في الماضي الذي لم نعاينه؟

لا يمكن دحض حقيقة أن النقاشات الموضوعية حول قضية الذكاء في نشأة الحياة البيولوجية، قد شغلت مكانا لدى علماء على مستوى عال من الكفاءة خلال النصف الأول من الثمانينات، أي قبل الحكم في قضية إدواردز. والتأكد من هذا التاريخ، صار متاحا اليوم للجميع. العديد من البحوث العلمية المستمرة في العلم التاريخي خلال الثمانينات، كان ما يقلقها هو كيفية مواجهة التحديات الفريدة من نوعها لنظرية المعرفة من الناحية التجريبية بطريقة شرعية، وحتى تحظى بتأييد قوي بين صفوف المتخصصين في العلم التاريخي. منذ عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٩، ظهر الحس القيادي والمعرفي لثاكستون بشكل فريد في النقاشات الحادة التي تغذي هذه الأسئلة، وتبحث عن مصطلحات

دقيقة للعلم الذي يتضمنه هذا المشروع (مستند ٢).

لقد أثار من جديد، واحدا من المواضيع المركزية لكتاب اللغز؛ كيف يمكننا معرفة سبب حدث وقع في الماضي، إذا لم يتكرر في الحاضر ولم يتم رصده في الماضي؟ هذا هو الإشكال الذي واجهه المحققون في البحث عن إخضاع الأحداث الفريدة الماضية غير المتكررة -مثل التفاعلات الكيميائية في كوكب الأرض البدائي- للاختبار العلمي. هذا لا يعني أن تجارب المحاكاة قبل الأحيائية Prebiotic Simulation - كتجربة (يوري-ميلر) التي أجراها ستانلي ميلر في الخمسينات- لا قيمة لها. ولكن، كي نكون دقيقين، تلك التجارب لا يمكنها تخطيط النظريات غير الصحيحة.

هذا السؤال الحاسم؛ الدراسة العلمية لأحداث ماضية لم يتم رصدها، والاستنتاجات الحذرة التي يمكن استخلاصها، مع آثارها على تاريخ الحياة ككل، هو ما يلخص مهمة تاكستون البحثية خلال الثمانينات. لقد بدأ باستعمال المصطلح -كحل مؤقت- الذي اقترحه في خاتمة كتاب اللغز كفرع علمي؛ علم النشأة **Origin Science**. ثم عاد في النهاية لاستعمال المصطلح الأقدم، والذي كان قيد الاستعمال بالفعل؛ العلم التاريخي، بما فيه من نقص، حيث لم يعد

معيار التخطيطة التجريبية لأحداث فريدة وغير مشاهدة حدثت في الماضي أداة من أدوات العلم. عوضاً عن ذلك، أصبح على المحقق استخدام القياس، فإذا كان قياساً مقنعاً موافقاً للقناعات الراسخة، فيمكن وقتها استعمال القناعات الراسخة كبديل لمعيار التخطيطة المطلق (تركيزنا على عمل تاكستون هنا، لا نقصد به الحط من شأن العشرات من العقول المتميزة الأخرى، والتي قدمت مساهمات مهمة في هذا الإطار).

في عام ١٩٨٦، قام تاكستون بتطوير ورقة بحثية بعنوان (علم النشأة: قواعد جديدة، وأدوات جديدة لمناظرة التطور) للتداول خلال اللقاء السنوي لرابطة العلماء الأمريكيين **American Scientific Affiliation** في كلية هاوتن في نيويورك (انظر الجدول الزمني في مستند ٣). وقد قدمت الورقة مقارنة دقيقة ومنتزعة ومنضبطة لنشأة الحياة:

"مع البيانات الجديدة التي وفرتها البيولوجيا الجزيئية، يمكننا أن نجادل الآن لصالح وجود سبب ذكي وراء نشأة الحياة؛ عن طريق قياس شفرة الدنا DNA على اللغة مكتوبة. لاحظ أنني لم أقل إنه يمكننا الاحتجاج على الخلق الإلهي للحياة. كثير من

الخلقويين يرتكبون خطأ القفز من الحدث الواقع قيد الدراسة، إلى إله الكتاب المقدس مباشرة. انطلاقاً من المعطيات العلمية وحدها، يمكننا فقط استنتاج أن التفسير المعقول للحدث هو وجود سبب جوهري. لا يمكننا تعريف ذلك السبب بأبلغ من هذا، لا يمكننا الحسم ما إذا كان؛ سامياً أو باطنياً، إله الكتاب المقدس أو كائن ذكي آخر. لا يمكنني النظر إلى جزيء الدنا والقول إن الإله هو من صنع هذا. ما يمكنني قوله فقط، أنه نظراً لبنية جزيء الدنا، فإنه من المعقول جداً أن نستنتج أنه صنع من قبل عامل ذكي. ربما يمكننا تعريف ذلك العامل بشكل أكبر اعتماداً على حجج أخرى؛ فلسفية أو لاهوتية، ولكن بالمعطيات العلمية وحدها، لا يمكننا سوى استنتاج وجود السبب الجوهري فقط".<sup>(١٧)</sup>

لاحظ أنه استعمل عدداً من المصطلحات نحو؛ سبب ذكي، سبب جوهري، كائن ذكي، عامل ذكي. ودعنا نتذكر الترتيب الزمني في رواية القاضي جونز للأحداث، هذا الترتيب الزمني هو المحور الأساس الذي لا غنى عنه في تأكيده على أن مصطلح علم الخلق استبدل بمصطلح التصميم الذكي "بعد قرار المحكمة العليا الهام في قضية

إدواردز" (١٨)، ولاحظ أن ورقة تاكستون التي ظهرت فيها هذه الفقرة أُلقيت في عام ١٩٨٦، أي ليس في العام التالي لمحاكمة إدواردز، بل في العام السابق لها. إذن، حوالي عشرين عام قبل دوفر وعام قبل إدواردز، كان المحرر الأكاديمي لكتاب الباندا والشخصية التوجيهية في خطها الحجاجي، والتعبيري، والكتابي، يوضح تصوره حول أن التصميم في الطبيعة كان حقيقيا، لكن ذلك لم يستتبع بالضرورة القول بالخلقوية أو علم الخلق.

في تحليلهم لحكم القاضي، قام مؤلفو كتاب (التسكع داخل التطور **Traipsing into Evolution**) بالإخبار عن وثيقة مسجلة في المحكمة ولاحظوا "أن مسودة سابقة لقضية إدواردز ضد آجيولارد تعود لبداية عام ١٩٨٧، تؤكد على أن (نماذج المعلومات القابلة للملاحظة، لا يمكننا القول من خلالها ما إذا كان الذكاء الذي وراءها طبيعيا أو خارقا للطبيعة، فذاك سؤال لا يستطيع العلم الإجابة عليه)". (١٩)

وبالتالي، فالمزاعم عن تغييرات متسعة قبل إنها وقعت في مسودات الباندا في أعقاب قضية إدواردز تسقط بالكلية، ويتضح أنها لا تقوم على شيء، كما يؤكد الجدول الزمني (مستند ٣).

لنذهب لأبعد من ذلك مع ما وصفه القاضي بالدليل القاطع، ما الذي يمكن إنجازه عبر تغيير عبارة مركزية في الكتاب -مضمونها وكنهها- مع تركها في موضعها؟ أَلن يأخذ تحويل سريع لكتاب يرتكز على علم الخلق أكثر من مجرد نشر لكلمات مثل التصميم الذكي أو العامل الذكي بوساطة معالج للنصوص؟ حاول أن تمرر عبارات مثل: (سمكة الدكتور سوس، سمكتيه، سمكته الحمراء، سمكته الزرقاء)، داخل كتاب مدرسي في حساب المثلثات، عن طريق أن تضيف لهم فقط: (جا sin، جتا cosine، ظا tangent). مهما كانت عدد المرات التي ستستخدمها فيها، النتيجة ستكون حتما انتشار تنافر لا يمكن التغلب عليه. بالطبع لا، شيئا آخر سيكون مطلوبا، شيئا جديدا بالكلية، وليس مجرد تعبيرات دلالية (نعترف بأن التشبيه فيه مبالغة، ويتجاوز قصدنا ولكن قمنا بإدراجه لكي نلفت الأنظار إلى استحالة تحويل مفهوم ما إلى آخر يختلف عنه جذريا، وتحديدًا في جوهره المعرف، بمجرد نشر بعض الكلمات).

خلافًا لما قرره القاضي چونز من أن الباندا كان في الأصل يروج للخلقوية، تتفق المؤسسة في الواقع مع الأحكام القضائية السابقة التي ضد تدريس الخلقوية الفعلية في المدارس. مثلًا؛ خلال فترة الاستئناف الثلاثين يومًا، التي تلت حكم محكمة المقاطعة ضد تدريس الخلقوية في قضية (مكلين ضد أركانساس McLean v. Arkansas)، قمت

أنا وتشارلز تاكستون بملاقة المحامي العام لولاية أركانساس (ستيف كلارك Steve Clark) في مكتبه في مدينة ليتل روك، لحته على عدم استئناف الحكم. ببساطة، كان هذا بسبب أن المؤسسة تقر بأن علم الخلق يعزز وجهة نظر دينية لا تلائم المدارس العامة، وأن قرارات المحاكم في المستقبل ستوافق بلا أدنى شك على أنه من غير القانوني الدفاع عنها في المدارس العامة.

فكما اقترح قائمة من ٤٢ مراجعا وثمانية من المحررين والمساهمين يقفون وراء الباندا؛ نؤمن بأن مناصري الجانبين على مستوى العالم يمكنهم إيجاد حل أكاديمي وتعليمي أعلى بكثير من أي حل تشريعي.

## **اللغة المستعملة في المسودات الأولية للباندا، ولم قرأت بتلك الطريقة!**

لكن لنعد بإيجاز إلى أربعة مصطلحات محددة ذكرها القاضي چونز في حكمه. أولها (علم الخلق)، لماذا استعمل هذا المصطلح في المسودات الأولية لبعض فصول الباندا مع أننا كما ذكر الادعاء أعلاه أنكرنا استعماله؟

ها هي الإجابة، لقد أحضرت المؤسسة كلا من **بارسيفل ديفيس** و**دين كانيون** لمدينة دالاس بتكساس، من أجل اجتماع ١٨-١٩

أغسطس ١٩٨٢، للتخطيط للمشروع. خلال النقاشات الأولية، قام **ثاكستون** بوصف المنهجية التي يعتمد عليها **اللغز**، وذكر أن رؤية المؤسسة لكتاب البيولوجيا هي التعامل مع الأصول البيولوجية بنفس الطريقة —قدر الإمكان— التي تناول بها هو وزملائه التعامل مع نشأة الحياة في كتاب **اللغز** (وبما أن البروفيسور كينيون —أستاذ البيولوجيا في جامعة سان فرانسيسكو— كان قد قدم بالفعل لكتاب اللغز، فقد كان على دراية كافية بالكتاب).

لقد تجاوز التخطيط لمشروع الباندا الوقت المتاح، تاركاً أجزاء غير مكتملة في ثلاثة مواضع منفصلة. من دون الاستفادة من اللغة المفاهيمية، والتي لا يمكن العمل عليها إلا لاحقاً، تشتت الفريق الجديد المتكون من مؤلفين ومحررين، واتفقوا على أن **بارسيفل ديثيس** سيقوم بتوضيح أفكاره كتابياً ويرسلها إلى المؤسسة. بينما استعمل **ديثيس** مصطلحات **علم الخلق والخلقوية** في وثيقة بلور فيها فكرته، اختارت المؤسسة عدم استعمالها، أو بالأحرى عدم استعمال المعنى الواسع الانتشار الذي قد يُفهم من خلالها. لقد كانت العلاقة القانونية التي تربط المؤلفين بالمؤسسة هي **عقد عمل**. لقد كان عملاً مقابل أجر، ولذلك كان للمؤسسة الحرية المطلقة في ترك هذه المصطلحات في مكانها

مؤقتا، بينما يتم صقل اللغة المفاهيمية النهائية التي ستحل محلها في النهاية. إن أكثر ما تثنمه المؤسسة في عمل **ديفيس** هو مستواه العلمي في البيولوجيا وسجل مساره المتميز. لقد شارك كلا من **إلدرا سولومن Eldra Solomon** والبيولوجي **كلود فيلي Claude Villee** من جامعة **هارفارد**، في تأليف الكتاب الجامعي البيولوجي الأكثر مبيعا حتى اليوم **Biology, 2<sup>nd</sup> ed** (من نشر **دبليو. بي. سوندرز W.B. Saunders** في فيلادلفيا ١٩٨٩)، والذي كان يسمى سابقا (عالم البيولوجيا **The World of Biology**) حين نشرته **ماجرو-هيل McGraw-Hill**.<sup>(٢٠)</sup> إن معرفته العميقة لشتى مواضيع البيولوجيا استثنائية ومدهشة، ومهارته وسمعته ككاتب لا جدال فيهما. لقد سررنا حقا بمشاركته معنا.

ومن ثم، وكما قبلت **ماجرو-هيل** و**سوندرز** بكل سرور عمل **ديفيس**، على الرغم من أنه لا يوافق على نظرية التطور، قررت المؤسسة أيضا ترك فصوله للمراجعة مع شرط بسيط، وهو أن يتم الاستعاضة عن مصطلحات **علم الخلق والخلقوية** ما أن يتم تطوير حجة سليمة معرفيا، وبعد إثقالها وإخضاعها لنقد موثوق.

بمجرد أن أرسلت لنا المسودات الأصلية، بما فيها من مصطلحات خلقوية، أرسلت عشرات النسخ للقراء عبر البريد (لاحظ أنه سابقا في ذلك الوقت، كان استبدال المصطلحات البينية عملا مرهقا في أفضل الحالات، فما بالك بتعقيد عملية هي في الأصل معقدة تورط فيها عدة قراء). وبالتالي، عندما وصل عمل ديفيس الأصلي، رحبنا بهذه المادة البيولوجية المناسبة، ولاحقا عندما تم تحديد الأسلوب المعرفي والصيغة السليمة تم إدراجها لتتناسق أفضل مع التصميم الذكي. من أجل ذلك، فإن ادعاء القاضي جونز حول تطابق تعريفات لفظي "علم الخلق" و"التصميم الذكي" في المسودات الأولية صحيح، وغير مدهش على الإطلاق. كان بإمكان القاضي جونز النفاذ لهذه الحقائق إذا لم يتم بإقضاء المؤسسة من المحاكمة.

## الحكم في قضية إدواردز لم يكن فعليا ذا صلة بكتاب الباندا

عندما قضت المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية بعدم دستورية الخلقوية في قضية إدواردز عام ١٩٨٧، فقد رأت أن الخلقوية تدافع عن فكرة الخالق الخارق للطبيعة، وبالتالي فهي تطرح استنتاجات ذات طابع ديني، وتقع خارج مجال العلوم التجريبية.<sup>(٢١)</sup> هذا الحكم

البارز لم يمثل أي تحد للباندا بأي طريقة كانت، وذلك لأنه -وكما ذكرنا سابقا- منذ مراحلها الأولى حرصت الباندا على البقاء في المجال التجريبي، وعدم الترويج أو الدفاع لأمر خارقة للطبيعة. من ناحية أخرى، نشر الباندا كان مشروعاً ضخماً بالنسبة لمنظمتنا الصغيرة، وسيكون من غير المتصور -بل ومن التهور الواضح- تجاهل ما لدى محكمة الدائرة الخامسة الأمريكية للاستئناف مؤخراً في ٥ يناير ١٩٨٢، وما قضت به من عدم دستورية الخلقوية بشكل حاسم في قضية ماكلين ضد آرکانساس. (٢٢)

عوضاً عن تأييد وجود خارق للطبيعة، نجد في هذا المقطع -الذي ظهر كما هو حرفياً في الطبعين الأولى والثانية- ما يثبت دفاع الباندا عن العكس تماماً:

"على سبيل المثال، فإن مكانة التصميم الذكي في العلم مرت بمشاكل لأكثر من قرن. وسبب ذلك في المجمل، أن العلماء المنتمين للثقافة الغربية فشلوا في التمييز بين الذكاء؛ والذي يمكن التعرف عليه من قبل التجربة الحسية الموحدة، والخوارق الطبيعية؛ التي لا يمكن إخضاعها للحس. اليوم، ندرك أن تلك الدعوات للتصميم الذكي يمكن اعتبارها علم، كما أوضحت البحوث

الحالية التي تجربها وكالة ناسا عن الذكاء خارج الأرض SETI. لقد كان لعلم الآثار الريادة في تطوير طرق للتمييز بين التأثيرات الطبيعية والأسباب الذكية. مع ذلك، يجب أن نعترف أننا إذا ذهبنا لأبعد من ذلك، فاستنتجنا أن الذكاء المسؤول عن الأصول البيولوجية هو إما خارج الكون (أي خارق للطبيعة)، أو داخله؛ فإننا نفعل ذلك دون مساعدة العلم". (٢٣)

نظرا لتقنيات الطباعة البطيئة والمتعبة آنذاك، يشير تاريخ نشر الباندا لأولى طبعاتها عام ١٩٨٩، إلى أنه تم إعدادها للطبع أساسا في نفس الوقت الذي قدم فيه تاكستون محاضرة بعنوان: **الدنا، والتصميم، ونشأة الحياة DNA, Design, and the Origin of Life** (مستند ٢) في مؤتمر دولي بمدينة دالاس في تكساس في الفترة ١٣ - ١٦ نوفمبر ١٩٨٦، والتي دافع فيها - كما سنرى - عن نفس الموقف.

حتى عند استعمال مسودات المراجعين للباندا والمسودات المدحجة والمستمدة منها، للمصطلح الفضفاض والأعم الخلق؛ كان واضحا من خلال مضامينها أن مشروع الباندا يختلف عن الخلقوية. (٢٤) المسودات التي سبقت نشر الباندا تنص على أن "نماذج المعلومات التي يمكن ملاحظتها لا يمكنها إخبارنا ما إذا كان الذكاء المسؤول طبيعي أو خارق

للطبيعة"، والبعض أضاف أيضا "هذا ليس سؤالاً بإمكان العلم الإجابة عنه". مثل هذه النصوص تظهر في هذه المسودات، بما في ذلك المسودة المسجلة لدى المحكمة والكتاب الذي نشر بالفعل. قمنا بتبني مصطلح "التحذير الهيومى"<sup>(٢٥)</sup> كتسمية لهذه التحيزات، بما أنها تنبع من تحذير الفيلسوف التجريبي الأسكتلندي ديفيد هيوم، من أنه لا يمكننا الاستدلال على سبب خارق من خلال أثر فيزيائي مشاهد.

لم يحاول مشروع الباندا منذ انطلاقه - كما تبرهن مثل هذه النصوص - التحقيق في خوارق الطبيعة، بل كان يعتمز البقاء كليا داخل المجال التجريبي. وبالفعل، كان كتاب الباندا مختلف جذرياً عن الخلقوية وعلم الخلق.

## لماذا استعملت المسودات الأولى من الباندا لفظ "الخلق" على أية حال؟

إن حرص المؤسسة على وجود حجة قوية، بحثت ونوقشت جيداً، استلزم بالضرورة استخداماً مؤقتاً لكلمات تم استبدالها لاحقاً. في عام ١٩٨٠، عندما التحق تشارلز تاكستون بمجموعة من العلماء الأمريكيين في زيارة لسيول بكوريا الجنوبية، استعمل مصطلح أصل الجنس generic origin أو أصول الجنس generic origins، كما

استعملها كذلك عند شهادته في محاكمة دوفر. ولقد وصفنا بطريقة مستقلة هذا الاستعمال الوقي لكلمة **الخلق** في المسودات الأولية لباندا على أنه شاغل للمكان **placeholder**، بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام شاغلي المكان ليس بالأمر النادر في الأوساط العلمية؛ كيف كان من الممكن لعلم على هامش المعرفة البشرية أن يدرس ويناقش ظواهر لم يحط بها فهما بدون استعمال ذلك؟

في ١٣ نوفمبر ٢٠٠٦ -أحد عشر شهرا بعد دوفر- أبلغت جوجل عن ١٤٥,٠٠٠ مشاهدة<sup>(٢٦)</sup> للحظة الخلق (**Moment Of Creation**) بما في ذلك عدد كبير من الكتابات التقنية وغير الدينية والعامية. ولكن قبل ربع قرن في وقت سابق، عندما وقع تولي مشروع الباندا أصبح لفظ لحظة الخلق بالفعل مصطلحا مهترئا جدا. هذا يعود جزئيا إلى النتائج المحتفى بها والملاحظة لعلم الفلك وعلم الكونيات على مدى العقدين أو الثلاثة المنصرمين. عندما استعمل البروفيسور روبرت جاسترو (مؤسس ومدير معهد جودارد التابع للناسا لدراسات الفضاء) في كتابه **الإله والفلكيين** (نشر دار نورتن في نيو يورك ١٩٧٨) مصطلح لحظة الخلق، فقد استعمله بالتحديد كشاغل للمكان:

"ربما يوجد تفسير وجيه للولادة الانفجارية لكوننا، ولكن إن

وُجد، فالعلم لا يمكنه معرفة تفسير ذلك. ملاحقة العلماء  
للماضي ينتهي إلى لحظة الخلق (التأكيد من المؤلف)". (٢٧)

إن استعمال القاضي جونز للمصطلح الغامض "الكلمات  
المشتركة Cognates"، يحجب حقيقة أن كل من مصطلح الخلقوية  
وقريبه اللغوي الخلقوي يعينان شيئين مختلفين.

كثير من المساندين لهيئة الادعاء في قضية دوثر قد يطلقون على  
أنفسهم لفظ الخلقويين وذلك بحسب السياق. لا يمكن لأحدنا أن  
يطلب توضيحا أكثر قوة لمصطلح خلقوي أكثر من الذي أمدتنا به  
شهادة نجم الادعاء ضد الباندا؛ كينيث ميلر، والتي أورد كتاب  
(التسكع داخل التطور) جزء منها:

"قبل قضية إدواردز بفترة طويلة، رفض مؤلفو الباندا تحديدا وجهة  
النظر القائلة بأن العلم يمكنه اكتشاف ما إذا كان السبب الذكي  
الذي وقع تحديده خارقا للطبيعة. طبعاً العملية التي يقوم فيها  
العامل الذكي بإنتاج جسم مصمّم يمكن أن نسميها بشيء من  
التساهل؛ خلق - كقولنا بأن هذا المقال هو خلق من قبل عدة  
كتاب... كما اعترف ميلر بنفسه على المنصة:

سؤال: سيدي، في المعنى المؤلف لكلمة **خلقوي** هو ببساطة أي شخص يعتقد في فعل الخلق، صحيح؟  
جواب: نعم، أعتقد أنني أيضا أعد ذلك المعنى المؤلف لكلمة **خلقوي**.

سؤال: وهل تؤمن أن الكون قد خلقه الله؟  
جواب: أنا أؤمن أن الله هو خالق كل شيء؛ مرئي أو غير مرئي.  
إذن، فالإجابة على ذلك سيدي هي نعم.

سؤال: إذن في ذلك السياق، هذا يجعلك **خلقوي**، في ظل هذا التعريف...

جواب: ... في ذلك السياق، فإن أي مؤمن بالله، أي من يتقبل فكرة الكائن العليّ، هو قائل بالخلق حسب التعريف المؤلف للكلمة، لأنهم يؤمنون بنوع ما من الخلق.

سؤال: وهل هذا يشملك شخصيا؟  
جواب: هذا يشملني قطعاً."

ويواصل المؤلفون:

"إذا كان اعتراف ميلر بأنه **خلقوي** كما يدل عليه المعنى المؤلف للكلمة، لا يجعل منه مدافعا عن **الخلقوية** كما يُفهم

ذلك المصطلح عموماً هذه الأيام. لما إذن يتم معاملة مؤلفي الباندا بمعيار مختلف؟ مهما كانت الاختلافات في المصطلحات المستعملة في المسودات الأولية للباندا، فهي بوضوح لا تدافع عن الخلقوية بمعناها الواسع الانتشار (وهو الاعتقاد بأن أشكال الحياة الفردية خلقت خلقاً خاصاً منفصلاً بواسطة الإله، أو الخالق الخارق للطبيعة كما يفهم من الكتاب المقدس [تمت إضافة هذا التعريف])." (٢٨)

إذن، استعملت الباندا لفظ الخلق كشغل عام للمكان، كما استعمله كينيث ميلر، الشاهد الرئيسي للدعاء في قضية دوثر، عندما سُئِلَ له نسبته لنفسه، اعترف أنه خلقوي.

## اختلاف القاضي جونز بسبب اختلاف تصنيف "الأسباب" في العلوم

لكن ماذا عن المصطلح "خارق للطبيعة"، والذي من الواضح وجود شبهة مضامين خاطئة لألفاظ الخلق والخلقوي إن ما اقترن بهما؟ وهل ينطبق ذلك على الباندا أم لا؟

في اتهامه للباندا، عاد القاضي جونز للسببية وفئات الأسباب،

وهي مواضيع أساسية للنقاش عريض. كتب في قراره (صفحة ٨٢):

"لقد وُجد دعم متزايد للاستنتاج القائل بأن التصميم الذكي مبني على السببية الخارقة للطبيعة في كتاب التصميم الذكي المدرسي الذي يُوجّه طلبة فصل البيولوجيا في الصف التاسع إليه، وهو الباندا. نصّ كتاب الباندا - في الجزء المتعلق - على الآتي:

تتعارض الداروينية مع رؤية التصميم الذكي؛ لأنها لا تعطينا سببا طبيعيا يفسر كيف بدأت الأشكال المختلفة للحياة في المقام الأول. التصميم الذكي يعني أن تلك الأشكال المختلفة للحياة بدأت فجأة، من خلال عامل ذكي مع خصائصها المميّزة والتامة، سمك بزعانفه وحراشفه، طيور بريش ومناقير وأجنحة، إلخ. P-11 at 99-100 (التأكيد من المؤلف)" (٢٩)

وأكمل قائلا "وقد ذُكر بطريقة أخرى... أن التصميم الذكي يفترض أن الحيوانات لم تتطور طبيعيا عبر وسائل تطويرية؛ ولكنها أنشئت فجأة بواسطة مصمّم غير طبيعي أو خارق للطبيعة". (٣٠)

فلتلاحظ أن لفظ "خارق للطبيعة" هو للقاضي چونز وليس للباندا، إذن؛ فالقاضي يتجاهل نص الباندا، ويختلق مكانه ثنائية

ميتافيزيقية **Metaphysical Dichotomy**؛ إما سبب طبيعي أو سبب خارق للطبيعة، إذا لم يكن الشيء طبيعياً، فسيكون حتماً خارقاً للطبيعة.

بالطبع لفظ طبيعي قد يكون مقابله خارق للطبيعة في بعض الأحيان، ولكن مقابلاً آخر للفظ طبيعي قد يكون أكثر ملائمة. في الإطار المحدود بالتجريبية للمراجع التي يجب اتباعها في العلم، والتي تم اعتمادها على طول صفحات الباندا، نجد أن فتي الأسباب المتضادتين هما الطبيعي والذكي (أو الطبيعي والاصطناعي)، وليس الطبيعي والخارق للطبيعة (لم يحدث أن أحداً من مصنعي المواد الغذائية، الذين يدعون على ملصقات منتجاتهم أن جميع المكونات طبيعية، أنهم من قبل منافسين - مهما كانت شراسة المنافسين - بالاحتيال بإضافة مكون أو اثنين خارقين للطبيعة).

لاحظ أن القاضي چونز عند إعادته لصياغة بعض المقتطفات من الباندا، لم يرقم فقط بخلط هذين الإطارين المرجعيين المنفصلين - لكل منهما مجموعته الخاصة من الأضداد؛ بل بدأ متعامياً عن المقابلة المحدودة بالتجريبية؛ طبيعي ضد ذكي. ومع هذا، فإن في الباندا سيصادف القراء على الصفحة الثانية من المقدمة، الإطار المرجعي المحدد

الذي غفل عنه القاضي چونز: "في العالم المحيط بنا، نشاهد قسمين من الأشياء: عناصر طبيعية مثل النجوم والجبال، وإبداعات من صنع الإنسان (مثل المنازل والحواسيب)".

في هذا التفسير التمهيدي المبكر للأسباب الطبيعية والذكية، يتم إعطاء القارئ تصورات طبيعية بحتة، ليست خارقة للطبيعة لمنتوجات السببية الذكية (المنازل والحواسيب). وهذا الشرح لفتتين أساسيتين ومختلفتين من الأسباب (طبيعية وذكوية)، والتي يمكن الكشف عنها من خلال تجربة أو مشاهدة حسية موحدة، تم تطويره والالتزام به في جميع أنحاء الكتاب:

"إذا كان العلم يعتمد على التجربة، إذن فهو يخبرنا بأن الرسالة المشفرة في الدنا يجب أن تكون قد نشأت من سبب ذكي. ما نوع هذا العامل الذكي؟ لا يستطيع العلم بمفرده الإجابة عن هذا السؤال؛ يجب تركه للدين والفلسفة. لكن ذلك لا يجب أن يمنع العلم من التسليم للأدلة التي في صالح الأصل الذكي، حيشما وُجدت".<sup>(٣١)</sup>

## اكتشاف في ضوء البحث النقدي

بعد أن تناولت مصطلحات: الخلق، الخلقوي، الطبيعي، الخارق للطبيعة، سوف نعود لإلقاء نظرة عن كُتَب على علامات هادية محددة لسنوات من البحث، والذي بدأ بنشر كتاب **لغز نشأة الحياة**. تبين وثائق كثيرة - وهي متاحة اليوم بشكل كامل- أن التطويرات والاختبارات الأولية التي قام بها تشارلز **ثاكستون** لمحاوَر التصميم الذكي وعناصره، تجعل حجج القاضي **چونز** غير صحيحة وبالية. لم يكن مصطلح التصميم الذكي رد فعل متعجل بين عشية وضحاها، استجابة لما قضت به محكمة الولايات المتحدة العليا في قضية **إدواردز** ضد **أجيولارد** في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٨٧.

قمنا بعرض نماذج لوثائق متفرقة - بما فيها محاضرات **ثاكستون** وأوراقه المتداولة- مع تواريخها الأصلية. ورأينا أن بعضاً من تواريخ النشر هذه قد سبقت - بمقدار عام أو أكثر- الحكم في قضية **إدواردز**، التي زعم القاضي **چونز** أنها أطلقت صك مصطلح التصميم الذكي. خلال تلك السنوات، ومع التقدم في فهم البيولوجيا الجزيئية ونظرية المعلومات، صار من الجليّ - وبشكل متزايد- أن قياس الماضي غير المشاهد على ما يمكن مشاهدته في الحاضر؛ قياساً مقنعاً. وهو يناسب ويحيط

بالشفرات والآلات واللغات المكتوبة والآثار في ففة واحدة متجانسة،  
ألا وهي الذكاء.

بعد ثلاثة أشهر فقط من تداول ورقته (علم النشأة: قواعد  
جديدة، وأدوات جديدة لمناظرة التطور) خلال الاجتماع السنوي  
لرابطة للعلماء الأمريكيين بكلية هاوتن في نيويورك (مقتبس في الأعلى)،  
توسع تاكستون قليلا في قياسه. البعض من زملائه في الرابطة عرضوا  
ملاحظاتهم أو أعربوا عن موافقتهم. فكان نتيجة لذلك أنه اعتمد تقريبا  
نفس الكلمات في مؤتمر عالمي بمدينة دالاس في تكساس، في ١٣-١٦  
نوفمبر ١٩٨٦. قام تاكستون بعرض هذه القضايا بتفصيل أكبر في  
هذا المقطع من (الدنا، والتصميم، ونشأة الحياة):

"مع توفر معلومات جديدة من البيولوجيا الجزيئية ونظرية  
المعلومات، يمكننا الآن أن نجادل لصالح وجود سبب ذكي وراء  
نشأة الحياة، وهو مبني على قياس شفرة الدنا على رسالة مكتوبة،  
لا يمكننا تعريف المصدر بأكثر من هذا انطلاقا من المعطيات  
العلمية وحدها. لا يمكننا توفير اسم لهذا السبب الذكي. لا  
يمكننا أن نتأكد من خلال البيانات التجريبية التي بداخل الدنا،  
ما إذا كان الذكاء موجود خارج الأرض وداخل الكون كما أكد

ويكراماسينجي وهويل. محتمل أن يكون في ما وراء الكون، كما يحافظ على ذلك الإيمان بوجود إله عبر التاريخ. كل ما يمكننا قوله هو أنه نظرا لبنية جزيء الدنا، فمن المشروع -بكل تأكيد- الاستنتاج بأن عاملا ذكيا قام بصنعها. إن الحياة بالأحرى أتت من (من؟) وليس من (ماذا؟). ربما يمكننا تحديد ذلك العامل بتفاصيل أكثر باعتماد حجج أخرى. يمكننا، على سبيل المثال، اكتساب بصيرة من الحجج التاريخية، الفلسفية واللاهوتية، أو باعتماد خطوط دلالية مناسبة من حقول علمية أخرى. ولكن انطلاقا من معطيات الدنا العلمية فقط، لا يمكننا أن نحتاج إلا على وجود عامل ذكي". (٣٢)

يرسم (مستند ٤: سمات متكررة) التطور التدريجي لسبع سمات مميزة وعناصر في وثائق تاكستون خلال منتصف الثمانينات. مع أنها ليست جديدة بالكامل، ولكن هذه المواضيع المتماثلة إلى حد كبير شكلت البناء التصوري الذي كون نواة التفكير في التصميم الذكي خلال بداية ومنتصف الثمانينات. لاحظ أنهم لم يظهروا بضربة حظ سحرية!

هذا التطور يمكن تعقبه في منتصف الثمانينات على مدار ست

سنوات، من خلال خمس أوراق ومحاضرات لثاكتون. ها هي، مجدداً، السمات والعناصر السبع المتكررة:

- (١) مواضيع البحث العلمي تقتصر تماماً على المجال التجريبي.
- (٢) الأمثلة المقدمة للسبب الذكي هي آثار مشاهدة ضمن المجال التجريبي.
- (٣) الاحتجاج على وجود خالق خارق للطبيعة انطلاقاً من المعطيات التجريبية أمر مرفوض.
- (٤) لأننا لا نستطيع اختبار نظريات عن أحداث فريدة ماضية حول ظواهر متكررة، فإن وسائل خاصة بديلة كالقياس مطلوبة لدراستها وفهمها.
- (٥) البيولوجيا الجزيئية ونظرية المعلومات طورت أساليب تميز التصميم الذكي.
- (٦) كما ندرك أن الكتب، الآلات، الآثار والرموز هي منتجات الذكاء الإنساني بسبب تعقيدها المتخصص؛ إذن فإن التعقيد المعلوماتي الوظيفي في الكائنات الحية يشير كذلك إلى مصدر ذكي.
- (٧) التقدير الملائم والواقعي للدور الذي تلعبه غالباً الميتافيزيقيا، مهم في قضايا العلم المتنازع عليها.

يبدو جليا من ملاحظات تاكستون في منتصف الثمانينات، في كل من (علم النشأة) و(الدنا، والتصميم، ونشأة الحياة) أنه فهم أن نظرية المعلومات ومعطيات البيولوجيا الجزيئية، قد مدتنا بأدوات هامة لاكتشاف المعلومات الناتجة عن السبب الذكي. لقد أثار هو والتر برادلي وروجر أولسن، المؤلفين المشاركين في كتاب **الغز،** انطلاقا من مجالات الدراسة هذه والديناميكا الحرارية حجة صاعقة ضد فكرة النشأة الطبيعية للخلية الحية الأولى. في الواقع، بحلول عام ١٩٩٠، أشار **برند أولاف كابرز Brend-olaf Koppers** (الباحث في نشأة الحياة) إلى أنه "من الواضح أن مشكلة نشأة الحياة، هي في جوهرها مشكلة نشأة المعلومة البيولوجية". (٣٣)

## التدقيق في التواريخ والربط بين النقاط

هل يوجد أي دليل قاطع على أن الوثائق التي تم إدراجها وتحليلها في المستند ٢ و٤، مرتبطة فعلا بنص الباندا كمصادر معلوماتية؟ وهل يوجد دليل على أن هذه الروابط وُجدت قبل الحكم في قضية إدواردز الذي اعتبره القاضي **چونز** صاحب الدور المحوري المذهل في تحريض المؤسسة على التمسك بلفظ التصميم الذكي، زاعما أن ذلك كي نتجنب وصمة **علم الخلق** المنتشرة حديثا؟

في صيف عام ١٩٨٦، كان كتاب (لغز نشأة الحياة) الصادر عام ١٩٨٤، مستمرًا في تحقيق مبيعات جيدة للغاية. وهكذا، بالتزامن مع رحلة نيويورك لحضور الاجتماع السنوي لاتحاد العلماء الأمريكيين، والذي كان قد بدأ يوم الجمعة ٨ أغسطس في كلية هاوتن، كان من المقرر أن يسجل برنامج (حديث المدينة) بإذاعة نيويورك حوارًا مع تاكستون يوم الأربعاء ٦ أغسطس، لبت كان سيذاع بعد أيام قليلة (مستند ٥).

لقد أحضر معه نسخًا من اللغز ليعطيها لأصدقائه في اجتماع الاتحاد، ونسخًا من ورقته البحثية (علم النشأة) المذكورة سابقًا، حتى يتلقى ردودًا من قراء أكفاء في نقاشات غير رسمية. فلتلاحظ توقيت هذه الأحداث؛ لقد وقعت قبل أربعة أشهر من قبل حتى أن يبدأ التداول في قضية إدواردز في المحكمة العليا في ١٩ ديسمبر ١٩٨٦، وقبل عام تقريبًا من الحكم في القضية في ١٩ يونيو ١٩٨٧.

كما ذكرنا سابقًا، فإن ورقة (علم النشأة) كانت مناقشة موضوعية للسبب الذكي. ولكن هل تم نقل مفاهيمه ومصطلحاته للباندا؟ نعم، هذا ما حدث. مر الباندا بالعديد من التعديلات، حينما كان العنوان الداخلي المؤقت لا يزال وقتها (البيولوجيا والأصول). ولكن

حين نشر الباندا بعد ثلاث سنوات، كانت الحجج الصريحة المذكورة في ورقة (علم النشأة)، التي قام بنشرها في الاجتماع السنوي للاتحاد عام ١٩٨٦، لا تزال هي الحجج المركزية للتصميم الذكي في الكتاب:

(١) يمكن تطبيق مبادئ نظرية المعلومات على رسالة نصّ الدنا (انظر تحديدا الصفحات ٦٨-٦٩، ١٥٩).

(٢) يترتب على ذلك أن نظرة مدققة في البيولوجيا الجزيئية، توضح لنا حقيقة أن جزيء الدنا عالي التعقيد شبيه باللغة المكتوبة (انظر الصفحتين ٦-٧).

(٣) التسلسل الخطي أو ترتيب الرموز يسجل المعلومات (انظر تحديداً الصفحات ٦٢-٦٨، ١٥٩-١٦٠).

(٤) تنطبق رؤية ديفيد هيوم الأساسية التجريبية في اشتراط وجود "تجربة موحدة" كأساس للقياس؛ فنحن حين نلاحظ أن نفس الحوادث تتبعها نفس النتائج بانتظام في الحاضر، يجوز لنا أن نسقط ذلك بثقة على النتائج الماضية لنفس فئة الأحداث، حتى نستطيع نفهم أسبابها غير المشاهدة (انظر تحديداً الصفحة ٥٦).

(٥) ومن ثم ينطبق التحذير الهيومى؛ فنحن في العلم نفكر انطلاقاً من الآثار المرصودة (معلومات)، ثم نستنتج وجود السبب الذكي، لا

الخالق الإلهي (انظر تحديداً الصفحات ١٢٦-١٢٧، ١٦١).

لقد أبرزنا دليلاً لا لبس فيه، على أنه قبل ما لا يقل عن عام من الحكم في إدواردز ضد آجيولارد، كان تشارلز تاكستون يضع اللمسات الأخيرة على هذه الحجج المحددة لمفهوم التصميم الذكي، بلغة علمية وفلسفية واعية.

## مجال مفتوح للتخمينات

للتذكير؛ في بداية هذا التقرير ذكرنا أن الرواية المعيبة التي سردها القاضي حول الباندا، قد فتحت المجال للتخمين غير المقيّد حول الكتاب، والأهم من ذلك حول التصميم الذكي نفسه. في هذه النقطة، نتوقف مرة أخرى، لننظر في مثال أبعد عن مدى تبني التضليل واسع الانتشار تجاوزاً شرساً - بل عدوانياً - حول التسلسل التاريخي لكتاب الباندا الذي يُحال إليه فصل البيولوجيا من طلبة الصف التاسع في دوفر.

لنذكر مثلاً واحداً فقط من بين الأمثلة العديدة الموجودة في كتاب (إنقاذ داروين: كيف تكون مسيحياً وتؤمن بالتطور) والذي ويخ فيه كارل جيبسون المدافعين عن التصميم الذكي، خلال مناقشة قضية دوفر على ثقافتهم الضحلة:

"على النقيض، تتطلب شهادة الدكتوراه - في المتوسط - عشر سنوات من الدراسة المتخصصة. إن إتقان طرق التعلم الدقيقة أمر معقد، وليس شيئاً يمكن فهمه من خلال النظر ببساطة من شبك مختبر البحوث أو قضاء أمسية هادئة وأنت متكأ تطالع دليل الأحمق للطريقة العلمية...؛ أعتقد أن هذا كان سيُفهم أكثر لو كان هناك المزيد من مؤرخي العلم في حركة التصميم الذكي. تاريخ العلم - بأكثر من طريقة - هو تاريخ هجر تدريجي ومتردد للتصميم الذكي كمنهجية تساعد في فهم العالم". (٣٤)

يستدل جيرسون بمعضلة نيوتن مع نظريته غير المكتملة عن الجاذبية الكونية، كمثال متكرر على التاريخ الطويل لأولئك الذين يستدعون الإله (أو الملائكة) لسد الخلل الذي يعترى نظرياتهم وأفكارهم. إن حقيقة كون نيوتن حاول حل ثغرات النظرية بالتسليم للتصويبات السماوية للمدارات السماوية حتى يوازن حساباته، صارت قصة ساخرة بعنوان (إله الفجوات God of the gaps). أضاف جيرسون أن مؤرخي العلم يفهمون جيداً مخاطر أخطاء إله الفجوات، ثم جازف قائلاً: "وهذا ربما يكون السبب وراء التمثيل السيء جداً لهذه المجموعة بالغة الأهمية في حركة التصميم الذكي". (٣٥)

لكن في الواقع، كثيرا ما سلط تاكستون الضوء على خطأ نيوتن (إله الثغرات)؛ معيدا النظر في مواجهة شهيرة حدثت بعد زهاء قرن من عمل نيوتن، عندما سأل نابليون الرياضي وعالم الفلك الفرنسي لابلاس إذا ما وجد مكانا للإله في حساباته. يقول تاكستون عن جواب لابلاس (حسن السمعة): "صارت الإجابة النموذجية لكل الأسئلة المشابهة حول دور الإله في العلم: (سيدي، لست بحاجة لتلك الفرضية)".<sup>(٣٦)</sup> كان هذا أفضل مثال طرحه، احتج تاكستون بقصة هذه المواجهة لإيصال النقطة التي أوصلها جيبسون. لكن بفعل ذلك، فقد أضاف تاكستون الشرط الهام للنقاش الدائر حاليا. لقد ذكر أنه بينما البديل للسبب الطبيعي في الدين هو السبب الخارق للطبيعة، البديل للسبب الطبيعي في العلم هو السبب الذكي (بدون اعتبار للنطاقات الطبيعية أو الخارقة للطبيعة). يظهر الحوار المقتضب بين لابلاس ونابليون فيما لا يقل عن أربع ورقات لتاكستون، أدرجت في مستند ٢ و ٤ بما في ذلك الورقة التي تم تداولها في الاجتماع السنوي للاتحاد عام ١٩٨٦.

من ناحية أخرى، يبدو أن جيبسون فشل في ملاحظة دور تاكستون البارز في كتاب الباندا وفي تقديم مصطلح التصميم الذكي للحوار الدائر فترة الثمانينات، على الرغم من أن كليهما عضوين في

الاتحاد. يبدو أنه أيضا فاته النقاش بين تاكستون ونورمان جايزلر التي نشرت بعنوان (ردود تاكستون على جايزلر) في مجلة الاتحاد آفاق في العلم والإيمان المسيحي<sup>(٣٧)</sup>، والتي ناقش فيها تاكستون بعمق توضيح نفس الإطار المرجعي المذكور أعلاه. تجاهل جيبسون أيضا تخصص تاكستون في مرحلة ما بعد الدكتوراه في تاريخ العلم بجامعة هارفارد. لم يكذ يُذكر تاكستون في كتاب جيبسون إلا كمجرد محرر من المحررين، كما أنه لم يظهر في فهرس كتاب جيبسون.

### اسم النظرية: التصميم الذكي يصنع بدايته

في خريف عام ١٩٨٦، وصل ستيفن ماير إلى جامعة كامبريدج، حيث كان سيدرس فلسفة وتاريخ العلم تحت إشراف الباحثة الهولندية (هارمك كامينجا Harmke Kamminga) المختصة في دراسات تاريخ نشأة الحياة. وفي نفس الوقت تقريبا، وصلت مناقشات تشارلز مع آخرين حول المقاربة المعرفية المتبلورة وأكثر الصيغ ملاءمة لتقديمها، إلى استنتاج سيصبح قريبا معروفا على نطاق واسع. الاسم الذي طال كتابته بالقلم الرصاص يمكن كتابته الآن بقلم حبر.

في قائمتي للأولويات، يوم الخميس ١٩٨٦/٩/٢٥، دونت

الملاحظة التالية على عجل ونحن نتحدث "اتصل سي تي - التصميم الذكي في ب "Call CT – Intell. Design in B" (مستند ٦). لا يمكن أن أنسى تلك المكالمات الهاتفية مع تشارلز، حيث أوصلتنا إلى نتيجة للنقاش الطويل في رحلة البحث عن المصطلح الصحيح لتعريف وتوصيل المفاهيم التي أصقلت على مدار السنوات الست الماضية. الاتفاق على اسم **التصميم الذكي** تم قبل ثلاثة أشهر تقريبا من مداولة قضية إدواردز من قبل المحكمة العليا، وتسعة أشهر قبل صدور الحكم؛ كما يشهد على ذلك تدويني لهذه الأمور.

## ملاحظات وسجلات عمل المؤسسة

تفاعل ثاكستون الفوري واليقظ في اجتماع الاتحاد في أغسطس ١٩٨٦، أعطى الأولوية لإعداد مخطوطة الباندا (التي كان عنوانها المؤقت لا يزال: البيولوجيا والأصول) للخطوة التالية؛ بداية الاختبار الميداني في خريف ١٩٨٦ في مدرسة تقع في منطقة شمال تكساس. بعض من ملاحظات وسجلات وأجندات ومراسلات المؤسسة، كذلك محاضر اجتماعات مجلس الإدارة وأوراق عمل على قائمة الأولويات، معروضة هنا في الملاحق؛ وهي تشكل قالباً معززا للنقاط التي توثق تسلسل متوقع للأحداث المتعلقة بهذا الاختبار الميداني.

خلال نفس الفترة، أمنت المؤسسة تراخيص الناشرين للاستخدام المشروط لبعض الخرائط والبيانات التوضيحية، وبدأت الاختبار الميداني الذي تم تربيته مسبقا في مدرسة ثانوية بشمال تكساس. ظهرت المراجع لنسخ العمل المنتهية، وتسليم الكتب للمدرسة في لائحتي للأوليات ١٨ سبتمبر ١٩٨٦. في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٧، أي بعد ثلاثة عشر شهرا، قام المراقب المساعد للمقاطعة بإرسال تقرير إيجابي للمؤسسة بخصوص استعمال النص خلال العام الدراسي ١٩٨٦-١٩٨٧ (مستند ٧؛ هذا وكل الملاحق الحساسة الأخرى تم تنقيحها لحفظ سرية من شارك ثانويا).

بالإضافة إلى ذلك، كانت المؤسسة قد بدأت بالتواصل مع الناشرين بحلول شهر نوفمبر ١٩٨٦، ملتزمة الاهتمام بنشر المخطوطة، بينما كانت لا تزال مُعنونة مؤقتا بـ(البيولوجيا والأصول). استمر هذا الالتماس خلال ربيع ١٩٨٧.

المقتطف التالي هو من رسالة بتاريخ الخامس عشر من مايو عام ١٩٨٧، كتبها إلى مدير المبيعات الإقليمي لدار (أديسون-ويسلي Addison-Wesley) بكارلتون في تكساس، ملتمة الاهتمام بالمسودة:

"في نفس الوقت، الكتاب لن يكون عرضة للانتقاد المركزي للخلقوية؛ الخارق للطبيعة يقع خارج العلم، ذلك لأن تصريحه المركزي هو أن الدليل العلمي يشير إلى سبب ذكي، والعلم صامت عما إذا كان ذلك الذكاء داخل أو خارج الكون المادي. لذلك فالكتاب لا يروج لما وراء الطبيعة".

الموقف الذي عبر عنه الكتاب بوضوح كان مسألة محسومة منذ البداية، قبل أن تبدأ الاختبارات الميدانية أو التسويق. الإطار الزمني لهذه الرسالة في ٥ مايو ١٩٨٧، منسجم مع التقرير الذي قدمته لمجلس إدارة المؤسسة، وانعكس ذلك في محضر الجلسة في ٢١ أبريل ١٩٨٧؛ تقرير عن حالة نشاطنا في التواصل مع ناشري الكتب المدرسية (مستند ٨).

يؤكد هذا الاقتباس حقيقة أن المؤسسة كتبت مسودة البيولوجيا والأصول لتعكس الحدود المفصلة جيدا والمعتمدة دوما، والتي أشرنا إليه هنا كـ"التحذير الهيومومي". الأمر الذي ينفي من جديد، ادعاء القاضي چونز المذكور في بداية هذا التقرير في أن "تعريف علم الخلق في المسودات الأولى متطابق مع تعريف التصميم الذكي".

## خاتمة: ما الذي يقدمه هذا التقرير؟

لقد بدأنا هذا التقرير باقتباس ما أشار إليه القاضي جونز على أنه "الدليل الأقوى في دعم اكتشاف طبيعة التصميم الذكي الخلقوية"؛ الدليل الذي وصفه بأنه "التسلسل التاريخي" لكتاب (الباندا والناس: السؤال المركزي للأصول البيولوجية). مرة أخرى:

"يبين هذا الدليل بوضوح أن التغيير المنهجي من الخلق إلى التصميم الذكي تم في وقت ما من عام ١٩٨٧، بعد قرار المحكمة العليا الهام في قضية إدواردز. هذا الدليل القاطع يدعم بقوة تأكيد المدعين على أن التصميم الذكي ليس إلا إعادة صياغة للخلقوية".<sup>(٣٨)</sup>

كما رأينا حتى الآن، أدلة الادعاء الرئيسي للقاضي جونز حول "الطبيعة الخلقوية للتصميم الذكي"، والتي وصفها بـ"القوية الدامغة"، اتضح أنها أبعد ما تكون عن ذلك. إنه مثال واضح للمغالطة المنطقية المعروفة باسم (حدث بعده إذا هو سببه Post hoc ergo propter hoc)؛ حيث أنها تزعم شرح شيء كنتاج لحدث لم يسبقه، بل على الأرجح تبعه، بل وبفترات زمنية طويلة.

على الرغم من أن القاضي چونز تخيل أن الحكم في قضية إدواردز جعل ناشري ومحرري الباندا يهرولون للبحث عن كلمات أخرى بديلة لـ "علم الخلق" و "الخلقوية" بسبب قرار المحكمة، ما بيناه بالكثير من الوثائق من الاستشهادات والمستندات ذات الصلة، أثبت العكس.

بالإضافة إلى ذلك، لقد رأينا أن القاضي چونز سعى لدعم فرضيته الرئيسة عبر الالتفاف حول اللغة الصريحة لكتاب الباندا، التي أظهرت أن المؤلفين والمحرر أخذوا بجدية المحظورات التحريية تجاه وجود الخوارق الطبيعية في العلم، وقد فعلوا ذلك بوضوح ودون مراوغة. لكن القاضي چونز تجاهل دعاوي المؤلف المتكررة، بأن العلم مقتصر على المجال التحريي ولا يمكنه إخبارنا بأي شيء خارق للطبيعة.

تبنى كتاب الباندا لمصطلح "التصميم الذكي" نبع من نوايا صادقة لاحترام حدود البحث العلمي، ونتاج لسنوات من العمل مع محترفين معتمدين في التخصصات العلمية والفلسفية ذات الصلة، والذين كانوا يحملون وجهات نظر متعارضة؛ فالأمر أبعد ما يكون عن مجرد محاولة لتفادي حكم قضائي أو الترويج للدين. كان لدينا عزم ثابت على استعمال نظرية معرفية مبنية على التجربة، تتصل بالماضي بشكل مقبول من خلال قياس الدنا على الشفرات والآلات واللغات

المكتوبة والآثار، وتوضيح ذلك بكفاءة. ليست هذه النظرية المعرفية للخلقوية المنطلقة من وجهة نظر دينية، والتي بدأت بنص مقدس وليس أدلة تجريبية.

مع أننا لا نود التوسع في هذه النقطة، لكننا نريد التشديد على الخطأ الجوهرى في الحكم في قضية دوفر. وكما أكدنا من قبل، فعلى الرغم من أن الحكم في قضية إدواردز لم يكن ذا صلة بكتاب الباندا، لكنه كان ذا صلة قوية بحكم القاضي جونز. جعل القاضي جونز من قضية إدواردز العلامة المركزية ونقطة الارتكاز والانطلاق ضد الباندا. ومن ثم، فقد راهن على أن لفظ وحجة التصميم الذكي أتوا بعد الحكم في قضية إدواردز، مع أن ما تم كان العكس تماما. لم يكن مصطلح التصميم الذكي حصان طروادة لتسلسل الخلقوية، بل الواضح أن التصميم الذكي - من الناحية العلمية - منفصل عن الخلقوية.

مع أننا لا نزعم أن هذا التصحيح لسجل تطور الباندا سيقنع المتعصبين ضد التصميم الذكي بإعادة النظر في موقفهم، إلا أننا نأمل ونتوقع أن معقولية هذه الصورة المكتملة الموثقة ستشجع أغلبية المهتمين بهذا النقاش، والذين يبحثون عن الحقيقة حيثما قادتهم.

## الفهرس

- لماذا هذا الكتاب؟! ..... ٨
- القصة الخفية لقضية دوغر ..... ١٣
- هل التصميم الذكي علم أم لا؟! ..... ٧٥
- ملحق (١): الصورة النمطية في فيلم يرثُ الريح ..... ١٠٢
- ملحق (٢): مختصر مذكرة أصدقاء المحكمة ..... ١٢٥
- ملحق (٣): منشورات التصميم الذكي المراجعة من قبل الأقران . ١٤٦



لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة  
for Studying Atheism and Contemporary Issues of Faith